أسماء الله الحسنى

الدَّيَّانِ جل جلاله

اللقاء الخامس والعشرون

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، ومالك يوم الدين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلا في قربه، ولا صلاح للقلب، ولا فلاح إلا في الإخلاص له، وتوحيده، الذي إذا أطيع شكر، وإذا عُصي تاب وغفر، وإذا دعي أجاب، وسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، وصلى الله وسلم وبارك علي نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أما بعد:

فحديثنا اليوم عن اسم كريم من أسماء الله -تبارك وتعالى- وهو: (الديان)، وهو اسم ثابت لله -عز وجل- في السنة النبوية: ورد اسم الديان في السنة النبوية، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ» رواه أحمد

📝وممن أثبت هذا الاسم لله عزَّ وجلَّ الإمام ابن القيم في قصيدته النونية في أكثر من موضع من ذلك قوله: (جَهْمُ بنُ صَفْوَانٍ وشِيعَتُه جَحَدُوا صِفَاتِ الخَالِقِ الدَّيَّان).

✉ووَرَدَ فِي حَدِيثِ أبي قِلَابةَ عن أبي الدَّرداءِ: "البِرُّ لا يَبْلَى، والإثمُ لا يُنسَى، والدَّيانُ لا يَنَامُ، فَكُنْ كما شِئْتَ، كما تَدِينُ تُدانُ".

🗁الدَّلَالَاتُ اللُّغَوِيَّةُ لاسمِ (الدَّيَّانِ):

✉دَيَّانٌ صيغة مُبالغةٍ على وزن فَعَّال فعلُه دَان يَدِينُ دينًا، يُقال: دِنْتُهم فدانوا أي: حاسبتُهم وقهرتُهم فأطاعوا.

✉والدَّيَّانُ يُطلق على الملكِ المطاعِ والحاكمِ، وهو الذي يَدِينُ الناسَ إما بمعنى يقهرُهم، وإمَّا بمعنى يحاسبُهم.

❍فمِنَ الأوَّلِ: دانَ الرَّجُلُ القومَ إذا قهرَهُم فدانُوا له إذا انقادُوا.

❍ومِنَ الثاني: الدَّيانُ بمعنى المحاسِبِ المجازي.

قال خويلدُ بنُ نوفل الكلابِيُّ للحارثِ الغسَّانيّ وكان ملكًا ظالمًا:

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَخُوفُ أما تَرى ليلًا وصُبْحًا كَيْفَ يختلفانِ

هَلْ تَسْتَطِيع الشَّمْسَ أَنْ تأتِي بها لَيْلًا وهل لكَ بالمليكِ يَدانِ

يا حارِ أيقنْ أَنْ مُلكَكَ زائلٌ وَاعْلَمْ بِأَنَّ كما تَدِينُ تدانُ

مَعْنَى الاسمِ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى:

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: «أُخِذَ مِنْ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، وَهُوَ الْمحَاسِبُ وَالْمُجَازِي وَلَا يُضَيِّعُ عَمَلًا، وَلَكِنَّهُ يَجْزِي بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَبِالشَّرِّ شَرًّا».

قال ابن منده: «وَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: الدَّيَّانُ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَيْلٌ لِدَيَّانِ الْأَرْضِ مِنْ دَيَّانِ السَّمَاءِ».

قال الخطابي: «الديان: وهو المجازي، يقال: دنت الرجل إذا جزيته، أدينه، والدين: الجزاء، ومنه المثل: كما تدين تدان، والديان أيضاً: الحاكم، ويقال: من ديان أرضكم؟ أي: من الحاكم بها؟»

قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى الدَّيَّان قيل: هو القهار، وقيل: هو الحاكم القاضي، وهو فعال، من: دان الناس أي: قهرهم على الطاعة، يقال: دِنْتُهُم فدانوا أي قَهَرْتُهم فأطاعوا».

والدِّينُ الجزاءُ ومالكُ يوم الدِّينِ أي يومِ الجزاءِ، وقوله تعالى عن الكافرين: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: 53]، أي: مَجزيُّون مُحاسَبون.

وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: 86، 87]؛ أي: مقهورين ومُدبَّرين ومَجْزِيّين.

والدَّيَّانُ سبحانه هو الذي دَانتْ له الخليقَةُ، وعَنَتْ له الوجوهُ، وَذلَّتْ لِعظمتِهِ الجَبابرةُ، وخَضَعَ لعزَّتِهِ كلُّ عزيزٍ، مَلِكٌ قاهرٌ على عرشِ السَّماءِ مهيمنٌ، لعزته تَعْنو الوجوهُ وتسجدُ، يرضى على مَنْ يستحقُّ الرضا ويثيبُه ويكرمُه ويُدنِيهِ، ويغضبُ على مَنْ يستحقُّ الغضبَ ويعاقِبهُ ويُهينه ويُقصيهِ، فيعذِّبُ مَنْ يشاءُ، ويرحمُ مَنْ يشاءُ، ويعطي مَنْ يشاءُ، ويمنعُ مَنْ يشاءُ، ويقرّبُ مَنْ يشاءُ، ويُقصي مَنْ يشاءِ، له دارُ البقاءِ، دارُ عذابٍ أليمةٌ وهي النارُ، ودارُ سعادةٍ عظيمةٌ وهي الجَنَّةُ.

فهو الدَّيانُ الذي يَدين العبادَ أجمعين ويفصلُ بينهم يومَ الدِّينِ، كتبَ أعمالَهم فهي حاضرةٌ، ولا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أظهَرها لهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

ولما قرأ النبي -ﷺ-: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) [الزلزلة: 4] قال-ﷺ-:" قال: أتَدرونَ ما أخبارُها؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ. قال: فإنَّ أخبارَها أنْ تَشهَدَ على كلِّ عبدٍ وأمَةٍ بما عَمِلَ على ظَهرِها، تَقولُ: عَمِلَ يَومَ كذا وكذا وكذا، فهذه أخبارُها" ضعيف الترمذي

فأخبارها قائمة طويلة، كل الحركات، والسكنات التي يترتب عليها الجزاء تسرد، وتحدث بها الأرض.

وهكذا تشهد بها الألسن، والجلود، والأعضاء، قال -تعالى-: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) [النور:24-25]

وهكذا في قوله -تعالى-: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا

أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [فصلت:19-23]

وقال -تعالى-: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) [الأنبياء:47]، ثم تكون العاقبة: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) [المؤمنون:102-103]

قال -ﷺ- أَنَّ الناسَ "يُحشرون يَوْمَ القيامَةِ عُراةً غُرْلًا بُهْمًا"؛ أي: "ليس معهم شيءٌ، ثم يُناديهم بصَوتٍ يسمعُهُ البعيدُ كما يسمعُه القريبُ قائلًا لهم: أنا المِلِكُ، أنا الدَّيانُ، ولا ينبغي لأحدٍ من أهلِ النارِ أَنْ يدخُلَ النَّارَ وله عند أحدٍ من أهلِ الجَنَّةِ حقٌّ حتى أَقُصَّه مِنْهُ، ولا ينبغي لأحدٍ مِنْ أهلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدخُلَ الجَنَّةَ ولأَحدٍ مِنْ أهلِ النَّارِ عنده حقٌّ حتى أقصَّه منه، حتى اللَّطمةَ". فسأل أصحابُ النبي -ﷺ- عن كيفية القِصاصِ وقد حُشروا حفاةً عُراةً بُهْمًا ليس معهم دِرْهَمٌ ولا دينارٌ؟! فأجابهم -ﷺ-: أَنَّ القِصاصَ يكونُ بالحَسناتِ والسّيئاتِ؛ أي: يأخذُ المظلومُ من حسناتِ الظَّالمِ، فإنْ لمَ يكُنْ عنده حسناتٌ أُخِذ من سيئاتِ المظلومِ فوضِعَتْ على الظالم ثم تلا رسولُ اللهِ -ﷺ- قال الله – تعالى - :(الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [غافر: 17]

✉الديان: المجازي المحاسب، والله -جل وعلا- يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة، عراة ليس عليهم ثياب، حفاة ً بلا نعال، غرلاً أي: غير مختنين، بهماً أي ليس معهم شيئاً من متاع الدنيا، ثم يجازيهم ويحاسبهم على ما قدموا في حياتهم الدنيا من أعمال، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشر.

قال -ﷺ-: "تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِها، أَمْثالَ الأُسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ القاتِلُ فيَقولُ: في هذا قَتَلْتُ، ويَجِيءُ القاطِعُ فيَقولُ: في هذا قَطَعْتُ رَحِمِي، ويَجِيءُ السَّارِقُ فيَقولُ: في هذا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فلا يَأْخُذُونَ منه شيئًا". صحيح مسلم

✉فهذا هو الديان -سبحانه-، الذي يحكم بين العباد، ويحاسبهم، وهو القاهر فوقهم، وكلهم مستذل، مستعبد له -تبارك وتعالى-، كلهم آتيه يوم القيامة فرداً، لا يخرج أحد عن حكمه، ولا عن قضائه، ولا عن تدبيره.

📋قال ابنُ القَيِّمِ في معنى يومِ الدِّينِ: "يومَ يَدينُ اللهُ العبادَ بأعمالِهِمْ، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ، أي إن كان خيرًا فهو خير، وإن كان شرًّا فهو شر، وذلك يتضمَّنُ جزاءَهُم وحسابَهم".

✉ومعْنى الدَّيان الدقيق الذي لا يُضَيِّعُ عمَلاً، بل يجْزي عليه بِالخير أو الشَّر، إنَّ لِكُلِّ سيِّئَةٍ عِقاباً ولِكُلِّ حسنَةٍ ثواباً فاعْملوا ما شِئتم، البِرّ لا يبْلى والذَّنْب لا يُنسى والدَّيان لا يموت اِعمْل ما شِئت كما تدين تُدان.

👍وهذه حِكمةٌ بليغةٌ، وقاعدة عظيمة، جاءتْ الشواهدُ من الكتاب والسُّنّة دالَّةً على صدْقها، فهي سُنَةٌ كونية جعلَها اللهُ عِظَةً وعبرةً للناس؛ فـ (الجزاء من جنس العمل).

✉إن لله سنن ثابتة يسير عليها هذا الكون الفسيح وتقوم عليها الحياة، وتنتظم بها علاقات البشر، وعليها يكون الجزاء والحساب في الدنيا والآخرة، ومن هذه السنن سنة الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان، فجزاء العامل من جنس عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى:

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [الزلزلة: 7]، فلو استحضر الظالم الباغي عاقبة ظلمه وأن الله عز وجل سيسقيه من نفس الكأس عاجلا أو آجلا لكف عن ظلمه وتاب إلى الله وأناب، ولو استحضر العاق لوالديه أن أبنائه سيأتي يوم يكون عقوقهم له أشدُ وأفظع لتاب وأناب إلى الله، ولو أدرك من يسفك الدماء ويعتدي على الأموال والأعراض أن سنة الله له بالمرصاد وأنه لا بد أن يأتي يوم ويسقى من ذلك الكأس ويتجرع منه المرارة والعذاب لرجع إلى رشده وتاب و أناب، ولو أدرك كل من أعان على ظالم أو سكت عن قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الله عز وجل يمهل ولا يهمل وأن القصاص عنده سبحانه بمقدار الجناية جزاءا وفاقاً، و لو أدرك كل مسلم رجل كان أو امرأة أن قيامه بالعمل الصالح مهما كان صغيراً أو كبير فإن الله سوف يجزيه عن ذلك العمل خيراً كثيراً وأجراً عظيماً لتنافس الناس وتسابقوا إلى كل خير ولصلحت الأحوال واستقامت النفوس قال تعالى: (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً . وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً) [النساء: 123- 124] وقال -ﷺ-: (أتاني جبريلُ عليه السَّلامُ فقال: يا محمَّدُ! عِشْ ما شئتَ فإنَّك ميّتٌ، وأحبِبْ من شئتَ فإنَّك مفارقُه، واعمَلْ ما شئتَ فإنَّك مجزيٌّ به...)(الطبراني في الأوسط (4429)

✉فأنّها سنة لا تختص بالجانب السيئ والعمل الطالح -فقط-، بل هي تشمل الجانب الحسَن والعمل الصالح؛ ولذلك قال -تعالى-: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾... وأدلَّة هذه القاعدة وشواهدها كثيرة في الكتاب والسنّة، بل عليها مدار العمل ومناط الجزاء عموماً.

📠ثمراتُ الإيمانِ بهذا الاسمِ:

❶- يقول الله -تبارك وتعالى-: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف:180]، وعرفنا أن الدعاء ينتظم نوعين اثنين:

❶الأول: دعاء المسألة، تقول: يا رب، في كل مقام بما يناسبه من الأسماء.

✉إنسان ظُلم، وأخذ حقه، واضطهد، وصودر، وانتهك عرضه، أو ماله، أو غير ذلك، يقول مثلاً: يا الله، يا رب، يا ديان، يا حكم، ويدعو ربه بما يناسب ذلك، اللهم إني أسألك بأنك أنت الديان أن تجازي من ظلمني بما يستحق، اللهم إني أسألك بأنك أنت الديان أن تحكم بيني وبين فلان بالحق، اللهم إني أسألك بأنك أنت الديان أن تنتقم لي ممن ظلمني.

✉ولسنا بصدد الحديث عن العفو، والصفح، (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ) [الشورى:43]، لسنا نتحدث عن هذا، وإنما نوضح كيف يدعو الإنسان بهذا الاسم الكريم دعاء مسألة؟

❷والثاني: دعاء العبادة.

فإنه ينتظم أموراً كثيرة، عبادة القلب، واللسان، والجوارح، فأول ما يدخل تحت دعاء العبادة أنه إذا عرف العبد أن ربه هو الديان، يجازي، ويحاسب، ويحكم بين العباد، وهو مالك يوم الجزاء، يوم الحساب، يوم الدين فإن الإنسان يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، يحاسب نفسه على كلامه، يحاسب نفسه على كسبه، يحاسب نفسه علي معاملاته، وما يأتي ويذر، يحاسب نفسه على كل ما يصدر منه، ما يخطو خطوة إلا وقد حاسب نفسه عليها؛ لأنه سيسأل عنها، والأرض ستنطق: مشى اليوم الفلاني، والخطوة الفلانية يريد كذا وكذا، وإذا حاول الإنكار نطقت رجله، ويختم على فيه، ثم تشهد الألسن.

✉فالإنسان سيلقى ربه -تبارك وتعالى-، ويحاسبه، ويجازيه، فإذا ظلم -ولو شيئاً يسيراً- في هذه الحياة الدنيا فإنه سيدفع الثمن غالياً غداً، قد تكون هذه المظلمة ريالاً، قد تكون شيئاً يسيراً لا يبالي به، كله سيدفع ثمنه غداً من الحسنات، والسيئات.

✉قال كلمة، أشار بحاجبه، أو بعينه، أو بشفته، أو نحو ذلك إشارة تدل على الانتقاص، هذا كله سيدفع ثمنه.

✉قد يستطيع الإنسان أن يفلت من حكم المخلوقين، وقد يكون له لسان، وحجه، وبيان، ولكن ذلك لا يخلصه من بين يدي الله -تبارك وتعالى.

✉إنَّ اللهَ تعالى هو الدَّيانُ المحاسِبُ والمُجازِي للعبادِ، وهو الحاكِمُ بينهم يومَ المَعادِ، كما قال سبحانه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: 17].

⇦فمَنْ وجَدَ خيرًا فليحمدِ اللهَ، ومَنْ وجَدَ غيرَ ذلك فلا يَلومنَّ إلا نفسَهُ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40].

قال القرطبيُّ: "فيجِبُ على كلِّ مكلَّفٍ أَنْ يعلمَ أَنَّ اللهَ سبحانه هو (الدَّيانُ) يومَ القيامةِ، الذي يُجازِي كُلًّا بعملِهِ، فيقتصُّ للمظلومِ منَ الظالِمِ، ومِنَ السَّيِّدِ لعبدِهِ، كما في حديث عائشة أنَّ رجلاً مِنْ أصْحابِ رسولِهِ الله -ﷺ- جلسَ بينَ يديْهِ، فقال: يا رسولَ الله! إنَّ لي مَمْلوكين يكذِّبونَني وَيخونونني وَيعْصونَني، وأضْرِبُهم وأشْتُمهمْ، فكيفَ أنا منهم؟ فقالَ له رسولُ الله -ﷺ-: يُحسَبُ ما خانُوك وعَصَوكَ وكذَّبُوك وعِقابُك إيَّاهُم، فإنْ كان عِقابُك إيَّاهُم دُونَ ذُنُوبِهِمْ؛ كان فَضْلًا لكَ (عليهِم) وإنْ كان عِقابُك إيَّاهم بقدرِ ذُنوبِهِمْ؛ كان كَفَافًا ولا لكَ ولا عليكَ، وإنْ كان عِقابُك إيَّاهُم فَوقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لهمْ مِنكَ الفَضلُ الذِي بَقِيَ قِبَلَكَ فجَعلَ الرجلُ يبْكِي بين يَدَيْ رسولِ اللهِ ويَهتِفُ فقال رسولُ اللهِ مالَكَ؟ ما تَقرأُ كتابَ اللهِ " وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ "؟ فقال الرجلُ يا رسولَ الله! ما أجِدُ شيئًا خيرًا من فِراقِ هؤلاءِ – يعني عَبِيدَهُ (أنِّي)أُشْهِدُكَ أنَّهم كلَّهم أحْرَارٌ". صحيح الترغيب

وروى مسلم عن أبي هريرةَ، قال: قال رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: "أَتَدرونَ مَا المُفْلسُ؟"، قالوا: المُفلِسُ فينا مَن لا دِرهمَ له ولا مَتَاعَ، قال: "إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقَدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وضربَ هذا، فَيُعْطَى هذا من حَسناتِهِ وهذا من حسَناتِهِ، فإن فَنيَتْ حسَناتُه قبل أن يُقْضى ما عليه أُخِذَ مِنْ خَطَاياهم فَطُرِحَتْ عليه ثم طُرِحَ فِي النَّارِ".

قال رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: "لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلى أهْلِها يَومَ القِيامَةِ، حتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ" صحيح مسلم.

✉هذا هو العلاج لكثير من مشكلاتنا، نتعلم أسماء الله ونفهم معناها، ونعمل بمقتضاها، بعض الناس يقول: ما أستطيع، حاولت ترك الغيبة، فما استطعت، ما هو الطريق؟ ليس هناك حلول

سحرية -كما يقال-، هناك تربية إيمانية، وأعظم ما تكون هذه التربية الإيمانية بهذه الأسماء الحسنى، والذي لا تربيه مثل هذه المعاني التي تضمنتها هذه الأسماء الحسنى، فمن الذي سيربيه؟

✉إذا كانت هذه لا تزرع المراقبة، والخوف من الله في نفوسنا فما الذي يمكن أن يوجد ذلك؟

✉الله تعرف إلينا بهذه الأسماء، فهذا الإنسان الذي جلس، وتمدد بعد الإفطار، وهو صائم ذلك اليوم في رمضان، أو في نفل، أو نحو ذلك، ثم غمز فلانًا لما ذكر في المجلس، وتكلم فيه، وقال كلمة يعبر فيها عن احتقاره له، أو عن وصف غير محمود، هذا الإنسان مباشرة يمكن أن يقال له: هذه الكلمة التي قلتها ستدفع الثمن.

✉قد يكون الثمن هو ثواب هذا اليوم الذي صمته، يذهب إليه، تعبت، وصمت يوماً كاملاً، ثم يذهب ثوابك من أجل هذه الكلمة، وقد يكون الثمن أكبر من هذا، "قد قلتِ كلِمَةً لو مُزِجت بماءِ البحرِ لمزجته". صحيح أبي داود

✉فما حاجتك لهذه الكلمة؟ ما الفائدة من هذه الكلمة التي أطلقتها؟ ماذا استفدت؟ لا شيء، ولكن الشيطان هو الذي أغراه، فتكلم، وما علم أنه هو الخاسر.

✉لو أن الإنسان نظر بهذه الطريقة، وحاسب نفسه لما احتاج الناس إلى محاكم، ولما احتاج الناس إلى قضاة، ولما احتاج الناس إلى زواجر، وروادع، وقوارع في الدنيا من تعزيرات، وما إلى ذلك.

🗁كل إنسان يعرف ما له، وما عليه، ويؤدي ما له، ويترك ما عليه، ولكن الإنسان إذا غفل رحلت التقوى من قلبه، فافترى، فإذا كان الإيمان منعدماً، أو ضعيفاً فإنه قد لا يبالي حتى وإن ذكِّر بهذه المعاني؛ ولهذا أوصى النبي -ﷺ- بالتحلل من الحقوق، وردها إلى أصحابها قبل يوم القيامة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال -ﷺ-: "مَن كَانَتْ له مَظْلِمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليَومَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه". صحيح البخاري

✉فالأعمال قليلة، ثم بعد ذلك ستذهب إلى الآخرين، فإذا فنيت الحسنات أخذ من سيئاتهم، وطرحت على الإنسان، فما حاجة الإنسان لمثل لهذا؟ إنه العدوان، والظلم.

✉ولما نزل قول الله -تبارك وتعالى-: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) [الزمر:30-31]، قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: "يا رسول الله، أتُكرَّر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟! -اختصمنا في الدنيا على أرض، أو مال، أو غير ذلك، فهل نختصم أيضاً في الآخرة؟!-، قال النبي ﷺ: (نعم)، قال الزبير: إن الأمر إذاً لشديد".

✉ففي القيامة تكون خصومة، لكنها غير الخصومة في الدنيا، الخصومة في الدنيا تكون بين قاضٍ من البشر، بين حكم من البشر، لكنها في الآخرة بين يدي الله -تبارك وتعالى-، استشعر هذا الموقف، خصومة بين يدي الله، هل يستطيع الإنسان أن يتكلم بغير الحق، أو يكذب، أو يصر على المطالبة بما لا يحل له ولا يحق له من أموال الناس؟، أبداً.

قال: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) [الأعراف:8]، الوزن عند الله -تبارك وتعالى- بمثاقيل الذر، فبقدر المظلمة، أما أن يظلم الإنسان إذا ظُلم فلا، ولربما كان ظلمه في دعائه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

✉الإنسان قد يُظلم، فيدعو على ظالمه بدعاء يظلمه فيه، يعني: المظلمة قد تكون يسيرة، لكن الدعاء عظيم جدًّا لا يستحقه هذا الظالم بحسب مظلمته، وهذه قلما نتفطن لها.

✉فالمقصود: أن الخصومة بين يدي الله -تبارك وتعالى- التي دلت عليها هذه الآية تدل دلالة صريحة واضحة أننا سننتقل من هذه الدار لا محالة، وسنجتمع بين يدي الله تعالى في الآخرة، ونختصم فيما كنا نختصم فيه في الدنيا.

✉ليست الخصومة في المظالم فقط، بل حتى في التوحيد، فيختصم أهل الإيمان، وأهل الشرك، ويختصم-أيضاً- أهل القبلة فيما اختلفوا فيه من المذاهب، والآراء، ويفصل الله -تبارك وتعالى- بينهم، ويفتح بالحق، وهو الفتاح العليم.

✉فالله هو الديان وهو الحكم -جل جلاله - وتقدست أسماؤه-، ينجي المؤمنين المخلصين، الموحدين، ويعذب الكافرين، المشركين.

✉يقول ابن كثير -رحمه الله-: "هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين، والكافرين، وذكْرِ الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل المتنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الآخرة".

✉هذا على مذهب، وهذا على مذهب، بينهم خصومة، هذا على رأي، وهذا على رأي مما يتعلق بالدين، وبينهم اختلاف، وخصومة، هذا يقول: هذا على خطأ، وضلال، وذاك يقول: هذا على خطأ، وضلال، سيكون موقف بين يدي الله عز وجل يحكم فيه بين العباد، ويعرف صاحب الحق حقه، وصاحب الباطل باطله.

✉وفي المسند من حديث أبي ذر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان، فقال: "يا أبا ذرٍّ! هل تدري فيم تنتطِحانِ – أي الشاتانِ -؟ قال: لا، قال: لكنَّ اللهَ يَدري، وسيقضي بينهما". السلسلة الصحيحة

✉وجاء عن ابن عباس -رضي الله عنه- في هذه الآية: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) [الزمر:31]، قال: "يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر"، يعنى: هذا المظلوم يأتي مع ظالمه بين يدي الله عز وجل، ويختصم معه، يقول: ربي هذا ظلمني.

وجاء عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: "يأتي المقتولُ متعلِّقًا رأسُه بإحدى يديه، متلبِّبًا قاتلَه بيدِه الأخرى، تشخبُ أوداجُه دمًا، حتى يأتيَ به العرشَ، فيقول المقتولُ لربِّ العالمين: هذا قتلني فيقول اللهُ للقاتلِ: تعستَ، ويذهبُ به إلى النارِ". السلسلة الصحيحة

🗐وقد جاء عن الشافعي -رحمه الله- أنه قال: "بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد".

🗁بعض الناس قد يظهر عليه سمة الخير، والصلاح، والتدين، وأثر التوبة، لكن سرعان ما يتحول ذلك إلى شيء آخر، إلى نوع من العدوان، والظلم، فيصير تدينه هو: الوقيعة في أعراض أهل الفضل، والدين، والخير، والصلاح، وطلبة العلم، والدعاة إلى الله -عزوجل-.

🗁بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد"، فلا تكن بضاعة الواحد منا إلى الله، والدار الآخرة هي: العدوان، فيأتي يوم القيامة، وما ترك أحداً إلا فرى في عرضه، ما الحاجة لمثل هذا؟ ينبغي للإنسان أن يتزود للآخرة من الأعمال الصالحة، من قيام الليل، وصيام النهار، وقراءة القرآن، وذكر الله عز وجل، والدعوة إلى الله، والإصلاح.

🗁فالأصل في حقوق الله -عز وجل-: المسامحة، والأصل في حقوق العباد المشاحة، فليتحلل اليوم قبل أن يأتي في الآخرة ولا درهم، ولا دينار، إنما هي الأعمال على قلتها.

🗁تنظر إلى حال بعض الناس -أحياناً- فتجد هذا لا يصلي الفجر إلا في وقت الضحى، ولسانه يفري في الأحياء، والأموات، هذا لما يأتي يوم القيامة، كيف سيلقى الله -عزوجل-؟ إن لم يكن هناك نفع، وعمل، فلا أقل من كف الشر، فهي صدقة كما أخبر النبي -ﷺ-.

❷- من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم: هو أن العبد إذا عرف أن ربه هو الديان، فإن ذلك يكون سلوة له، يتسلى به المظلوم، والمكروب، والمهضوم، والذي قد صودر حقه، وانتهك عرضه، أو نحو ذلك من المقهورين في هذه الحياة الدنيا، الذي لم يستطع أن يقتص من ظالمه، فإنه يوقن أنه سيأتي يوم ولا بد، هي مسألة وقت، وسيؤتى بهذا الظالم، ويجلس بين يديه.

❍«الدنيا تدور ثم تعود وتقف عندك لتفعل بك ما فعلته بغيرك تذكر ذلك جيداً، يا من تؤلم غيرك وتمضي كأنك لم تفعل شيئاً».

❍كما تدين تدان خبئها في رفوف غفلتك للأيام القادمة وسيخبرك الزمن عنها.

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)، من أبكاكَ سيجد من يُبكيه؛ ومن ضرك سيضره شخص ذات يوم؛ فالأرض دائرية والصفعة التي يُهديها اليوم، ستعود له بنفس الحِدّة غداً، فلا تشوه طهر قلبك بردّ السوء.

✉قد لا يستطيع في هذه الحياة الدنيا أن يكف ظلمه عنه، قد يتسلط الإنسان على من هو تحت يديه، من موظف عنده، أو على خادم في بيته، أو نحو ذلك، ممن لا يستطيع دفع مظلمته، لكن وإن من يدٍ إلا يد الله فوقها، فالله -تبارك وتعالى- سيحضر هذا الظالم، ولو كان قويًّا في هذه الحياة الدنيا.

✉إنسان قتل له قتيل، ولا يدري من قتله، إنسان سرق بيته، جاء ولم يجد في بيته شيئاً، جاء محتال، فغرر به، وسرق أمواله، استطاع أن يأخذ كل أمواله، ثم ذهب، ولم يدرِ أين هو، سيأتي في الآخرة.

✉الله -تبارك وتعالى- يعلم هذا الظالم، وسيأتي به، فيقف بين يديه، ويقتص منه، فما يضيع شيء إطلاقاً، فإذا علم العبد المظلوم هذا حصل له سلوى؛ لأنه أدرك أن هذه الحياة ليست هي نهاية المطاف.

✉فلا داعي أن يبقى الإنسان في حال من البؤس، حينما يتذكر مرارة الظلم الذي وقع عليه يجب أن لا يكتئب؛ لأنه سيأتي يوم يقتص فيه من هذا الظالم، سواء دعا المظلوم على الظالم، أو لا، فالله -تبارك وتعالى- سيأخذ الحق من الظالم وافياً، فلا يضيع عنده -تبارك وتعالى- شيء، (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) [إبراهيم:42]

✉فإذا جلست تريد أن تتعامل مع إنسان، كانت أمور هذا الإنسان تحت يديك، تستطيع أن تقرر فيها بما يحصل له به نفع، أو ضرر، فاعلم أن يد الله فوق يدك، وأنه كما تدين تدان، وقد ترى ذلك في هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة.

✉وكم من الوقائع في مثل هذا الذي يحسن إلى الناس، ويفرج عنهم الكروب، كيف أن الله يفرج كربته، والذي يظلمهم، ويورثهم همًّا، وغمًّا، وأذى، كيف أن الله يجازيه بمثل عمله.

❸- من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم: هو أن يتوخى الإنسان العدل مع الناس، ممن ابتلاه الله -تبارك وتعالى- بالحكم بينهم، الحكم عليهم، فيشيع العدل، ويحكم بينهم بالحق، ويتقى الله -عز وجل- فيما يأتي وما يذر.

☜وقد دخلت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز -رحمها الله-، دخلت عليه، فوجدته في مصلاه، يده على خده، تسيل دموعه، فقالت: يا أمير المؤمنين لشيء حدث؟، هل من جديد؟، هل هناك مصيبة جديدة؟ قال: يا فاطمة، إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ، فتفكرت في الفقير، والجائع، والمريض، والضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم محمد -ﷺ-، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي، فبكيت.

✉هذا هو التفكير الصحيح، إذا كان للإنسان نوع ولاية، فإنه ينبغي أن يتذكر: أن كل ما يقع من خلل هنا، وهناك، وتعثر، وما يكون لأهل الضر، والضعف، والعجزة، وما إلى ذلك، أن الله سيحاسبه على هؤلاء جميعاً إذا قصر في حقهم.

✉ولما حبس الرشيد أبا العتاهية، الشاعر المعروف، شاعر الزهد، قال أبياتاً، وهذه الأبيات أيضاً تروى عن علي -رضي الله عنه-:

أمَا واللهِ إن الظلم شؤم *** وما زال المسيءُ هو الظلومُ

إلى ديان يوم الدين نمضي *** وعند الله تجتمع الخصومُ

وقال آخر:

إذا خان الأميرُ وكاتباه *** وقاضي الأرض داهنَ في القضاءِ

فويلٌ، ثم ويل، ثم ويل *** لقاضي الأرض من قاضي السماءِ

✉وجاء عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: "ويل لديان من في الأرض من ديان من في السماء يوم يلقونه، إلا من أَمّ العدل –يعني: قصد العدل-، وقضى بالحق، ولم يقضِ على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغب، ولا على رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه" أخرجه أحمد في الزهد.

الأمر ليس بالسهل.

❹- من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم: هو الرضا بحكم الله تعالى الشرعي، والقدري، والجزائي؛ لأن من معاني الديان: الحَكَم، فيجب أن يرضى الإنسان بحكم الله -عز وجل- الكوني، والقدري، وأن يرضى بحكمة الشرعي.

✉فالله -تبارك وتعالى- شرع للإنسان، فينبغي أن يكون موقفه كما قال الله -تبارك وتعالى-: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب:36]، (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) [النور:51]، (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء:65]، هذا في الحكم الشرعي.

✉أما في حكمه -تبارك وتعالى- القدري: فإن الإنسان يرضى بما قدره الله -تبارك وتعالى-، فإن كان ذلك مما يمكن دفعه، دفعه بالتسبب بالأسباب المباحة، أو المشروعة، وإن كان ذلك مما لا يمكن دفعه، أو حاول دفعه، ولكنه لم يندفع، فما عليه إلا الرضا، والتسليم.

✉هذا المرض الذي حل، وهذه المصيبة، وهذه الجائحة التي اجتاحت المال، وهذه الوفاة التي حصلت لهذا القريب، أو نحو ذلك، هذا أمر قضاه الله، ولا سبيل إلى رجوعه، فما على الإنسان إلا الرضا، والتسليم لحكم الله -عز وجل-.

✉هذا موقف المؤمن، وأما التسخط، والاعتراض على أحكام الله -عز وجل- فإن ذلك لا يغني عن العبد شيئاً.

❺- ينبغي للعبدِ أَنْ يُحاسِبَ نفسَهُ قبلَ أن يُحاسَبَ، ويستعِدَّ للقاءِ دَيَّانِ السماواتِ والأرضِين قبل مجيءِ يومِ الدِّينِ.

✉ثُمَّ عليه أَنْ يَدينَ بطاعتِهِ، وكما يَدينُ يُدانُ، وهل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ.

✉فإذا دَانَ نفسَه بالطاعةِ، وَحَكَمَ قَلبَه الذي هو الأَميرُ على رعاياه التي هي جوارِحُهُ، واشْتَدَّ فِي الحكمِ لدينِ اللهِ الذي أمر به نبيّهُ -ﷺ-، وأَشَاعَ هذا فِي الخَلقِ، وأَظْهَر دِينَ اللهِ بالحقّ، فهو دّيَّانٌ من دَيَّاني هذه الأُمةِ، وقد استوجبَ يومَ الدّينِ عظيمَ الحُرْمةِ.

✉فإذا عرف العاقل أن الرب -سبحانه- ديان، وأن يوم القيامة يوم جزاء وحساب، وأنه سيلقى الله ذلك اليوم لا محالة، وأنه في ذلك اليوم سيجد أعماله كلها محضرة خيرها وشرها حسنها وسيئها، فإنه سيحسب لذلك اليوم حسابه، ويعد له عدته.

🗐كما قال أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: حاسِبوا أنفسَكُم قَبْلَ أَنْ تُحاسَبوا، وزِنُوا أَنفسَكُمْ قبلَ أَنْ تُوزَنُوا، فإنَّه أَهْوَنُ عليكم فِي الحسابِ غدًا، أَنْ تحاسِبوا أنفسَكُم اليومَ، وتَزَيَّنوا للعَرضِ الأكبر، يَومئذٍ تُعرضونَ لا تَخْفَى منكم خَافيةٌ.

✉فالكيس من دان نفسه وحاسبها ما دام في دار المهلة والعمل، والعاجز من أهملها سايرة في غيها، وأتبعها هواها إلى أن يفجأه الندم، قال النَّبيّ ﷺ: "الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللَّهِ". رواه التِّرْمِذيُّ

❶معنى اسم الدَّيَّان: الشيخ وحيد عبد السلام بالي.

❷ الدَّيَّان: الموسوعة العقدية.

❸ الدَّيَّان: د خالد السبت.